من كبار المداين الرومية وجمع لهم صاحب الروم بالطاعة وارسل اليهم يسالهم قبول المال والمصانعة فضربوا عليه ضريبة
يؤديها اليهم كل سنة ورجعوا عن بلاده واقاموا على جملة السكون والموادعة للبلاد الاسلامية كلها الى ان دخلت سنة
ثلاث واربعين وستمائة فاتفق ان بعض امراء بغداد وهو سليمان بن برجم وهو مقدم الطائفة المعروفة بالايوا وهم من
التركمان قتل شحنة من شحنهم في بعض قلاع الجبل يعرف بخليل بن بدر فاثار قتله ان سار من تتر نحو عشرة الاف غلام
منهم يطوون المنازل ويسبقون خبرهم ومقدمهم المعروف بجكتاي الصغير فلم يشعر الناس ببغداد الا وهم على البلد وذلك
في شهر ربيع الاخر من هذه السنة في فصل الخريف وقد كان الخليفة المستعصم بالله اخرج عسكره الى ظاهر سور بغداد على
سبيل الاحتياط وكان التتر قد بلغهم ذلك الا ان جواسيسهم غرتهم واوقعت في اذهانهم انه ليس خارج السور الا خيم
مضروبة وفساطيط مضروبة لا رجال تحتها وانكم متى اشرفتم عليهم ملكتم سوادهم وثقلهم ويكون قصارى امر قوم قليلين
تحتها ان ينهزموا الى البلد ويعتصموا بجدرانه فاقبلت التتر على هذا الظن وسارت على هذا الوهم فلما قربوا من بغداد
وشارفوا الوصول الى المعسكر اخرج المستعصم بالله الخليفة مملوكه وقائد جيوشه شرف الدين اقبال الشرابي الى ظاهر السور
وكان خروجه في ذلك اليوم من لطف الله بالمسلمين فان التتار لو وصلوا وهو بعد لم يخرج لاضطرب العسكر لانهم
كانوا يكونون بغير قائد ولا زعيم بل كل واحد منهم امير نفسه واراؤهم مختلفة لا يجمعهم راي واحد ولا يحكم عليهم حاكم
واحد فكانوا في مظنة الاختلاف والتفرق والاضطراب والتشتت فكان خروج شرف الدين اقبال الشرابي في اليوم
السادس عشر من هذا الشهر المذكور ووصلت التتر الى سور البلد في اليوم السابع عشر فوقفوا بازاء عساكر بغداد
صفا واحدا وترتب العسكر البغدادي ترتيبا منتظما وراى التتر من كثرتهم وجودة سلاحهم وعددهم وخيولهم ما لم يكونوا
يظنونه ولا يحسبونه وانكشف ذلك الوهم الذي اوهمهم جواسيسهم عن الفساد والبطلان وكان مدبر امر الدولة و
الوزارة في هذا الوقت هو الوزير مؤيد الدين محمد بن احمد العلقمي ولم يحضر الحرب بل كان ملازما ديوان الخلافة بالحضرة
لكنه كان يمد العسكر الاسلامي من ارائه وتدبيراته بما ينتهون اليه ويقفون عنده فحملت التتار على عسكر بغداد
حملات متتابعة ظنوا ان واحدة منها تهزمهم لانهم قد اعتادوا انه لا يقف عسكر من العساكر بين ايديهم وان الرعب
والخوف منهم يكفي ويغني عن مباشرتهم الحرب بانفسهم فثبت لهم عسكر بغداد احسن ثبوت ورشقوهم بالسهام ورشقت
التتار ايضا بسهامها فانزل الله سكينته على عسكر بغداد وانزل بعد السكينة نصره فما زال العسكر البغدادي يظهر عليهم
امارات القوة ويظهر على التتار امارات الضعف والخذلان الى ان حجز الليل بين الفريقين ولم يصطدم الفيلقان
وانما كانت مناوشات وحملات خفيفة لا تقتضي الاتصال والممازجة ورشق بالنشاب شديد فلما اظلم الليل اوقد
التتار نيرانا عظيمة واوهموا انهم مقيمون عندها وارتحلوا في الليل راجعين الى جهة بلادهم فاصبح العسكر البغدادي
فلم ير منهم عينا ولا اثرا وما زالوا يطوون المنازل ويقطعون القرى عائدين حتى دخلوا الدربند ولحقوا ببلادهم
وكان ما جرى من دلائل النبوة لان الرسول صلعم وعد هذه الملة بالظهور والبقاء الى يوم القيمة ولو حدث
على بغداد منهم حادثة كما جرى على غيرها من البلاد لانقرضت ملة الاسلام ولم يبق لها باقية والى ان بلغنا من هذا
الشرح الى هذا الموضع لم يذعر العراق منهم ذاعر بعد تلك النوبة التي قدمنا ذكرها قلت وقد لاح لي من فحوى كلام
امير المؤمنين انه لا باس على بغداد والعراق منهم وان الله تعالى يكفي هذه المملكة شرهم ويرد عنها كيدهم وذلك
من قوله ع ويكون هناك استحرار قتل فاتى بالكاف وهي اذا وقعت عقيب الاشارة افادت البعد تقول للقريب
هنا وللبعيد هناك هذا منصوص عليه في العربية فلو كان لهم استحرار قتل في العراق لما قال هناك بل كان يقول
هنا لانه خطب بهذه الخطبة في البصرة ومعلوم ان البصرة وبغداد شيء واحد فليلمح هذا الموضع فانه لطيف
وكتبت الى مؤيد الدين الوزير عقيب هذه الوقعة التي نصر فيها الاسلام ورجع التتر مخذولين ناكصين على الاعقاب
ابياتا انسب اليه فيها الفتح واشير الى انه هو الذي قام بذلك وان لم يكن حاضرا له بنفسه واعتذر اليه عن الاغباب
عن مديحه فقد كانت الشواغل والقواطع تصد عن الانتصاب لذلك ابقى لنا الله الوزير وحاطه بكتائب من نصره

ومقانب واستدار في ظله لنزيله وصفت متون غديره للشارب يا كالئ الاسلام اذ نزلت به فرغاء تشهق
بالنجيع السالب في خطة دهماء ديمومية لا يهتدي فيها الشليل الاحدب لا تمتطي سيساؤها مرهوبة الا بسا
حلس لا يدر لعاصب فرجت غمرتها بقلب ثابت في جملة زعوى وراي ثاقب ما غبت ذاك اليوم عن تدبيرها
كم حاضر يمضي بسيف الغائب عمر الذي فتح العراق وانما سعد حسام في يمين الضارب اثني عليك ثناء غير موارب
واجيد فيك المدح غير مراقب وانا الذي اهواك حبا صادقا متقادما ولرب حب كاذب حبا ملأت به
شعاب جوانحي يفعا وها انا ذو عذار شائب ان اقرض وان اغب متيم بكم ورب محاسن كواصب ولقد
نحا الصك القصي وربما يعني يود صادق متقارب سدت مسالكه هموم جمجمت بالفكر حتى لا نبض لحالب
ومن العناء مغلب في خطة يبغي مغالبة القضاء الغالب وهي طويلة وانما ذكرنا منها ما اقتضته الحال **الاصل**
ومن خطبة له ع في ذكر المكاييل والموازين عباد الله انكم وما تاملون من هذه الدنيا اثوياء مؤجلون و
مدينون مقتضون اجل منقوص وعمل محفوظ فرب داب مضيع ورب كادح خاسر وقد اصبحتم في زمن لا يزداد
الخير فيه الا ادبارا والشر الا اقبالا والشيطان في هلاك الناس الا طمعا فهذا اوان قويت عدته وعمت مكيدته
وامكنت فريسته اضرب بطرفك حيث شئت من الناس فهل تبصر الا فقيرا يكابد فقرا او غنيا بدل نعمة الله كفرا
او بخيلا اتخذ البخل بحق الله وفرا او متمردا كان باذنه عن سمع المواعظ وقرا اين خياركم وصلحاؤكم واين احراركم
وسمحاؤكم واين المتورعون في مكاسبهم والمتنزهون في مذاهبهم اليس قد ظعنوا جميعا عن هذه الدنيا الدنية
والعاجلة المنغصة وهل خلفتم الا في حثالة لا تلتقي بذمهم الشفتان استصغارا لقدرهم وذهابا عن ذكرهم
فانا لله وانا اليه راجعون ظهر الفساد فلا منكر مغير ولا زاجر مزدجر افبهذا تريدون ان تجاوروا
الله في دار قدسه وتكونوا اعز اوليائه عنده هيهات لا يخدع الله عن جنته ولا تنال مرضاته الا بطاعته
لعن الله الامرين بالمعروف التاركين له والناهين عن المنكر العاملين به **الشرح** اثوياء جمع ثوي وهو الضيف
كقوي واقوياء ومؤجلون مؤخرون الى اجل اي وقت معلوم ومدينون مقرضون دنت الرجل اقرضته فهو مدين
ومديون ودنت ايضا اذا استقرضت وصار علي دين فانا داين وانشد **شعر** نديت ويقضي الله عني وقد ارى
مصارع قوم لا يدينون ضيعا ومقتضون جمع مقتضى اي مطالب باداء الدين كمرتضون جمع مرتضى ومصطفون
جمع مصطفى وقوله اجل منقوص اي عمر وقد جاء عنهم اطال الله اجلك اي عمرك وبقاك والداب المجتهد ذو الجد والتعب
والكادح الساعي ومثل قوله فرب داب مضيع ورب كادح خاسر قول الشاعر اذا لم يكن عون من الله للفتى
فاكثر ما يجني عليه اجتهاده ومثله اذا لم يكن عون من الله للفتى اتته الرزايا من وجوه الفوائد وهو كثير
والاصل فيه قوله تعالى وجوه يومئذ عاملة ناصبة تصلى نارا حامية ويروى فرب داب مضيع بغير تشديد
وقوله وامكنت فريسته اي امكنته فحذف المفعول وقوله فاضرب بطرفك لفظة فصيحة وقد اخذها الشاعر
فقال فاضرب بطرفك حيث شئت فلن ترى الا بخيلا والوفر المال الكثير اي بخل ولم يؤد حق الله سبحانه فكثر ماله
والوقر بفتح الواو الثقل في الاذن وروي المتغصصة بفتح الغين والحثالة الساقط الردي من كل شيء وقوله لا تلتقي
بذمهم الشفتان اي يانف الانسان ان يذمهم لانه لا بد في الذم من اطباق احدى الشفتين على الاخرى وكذلك
في كل الكلام وذهابا عن ذكرهم اي ترفعا يقال فلان يذهب بنفسه عن كذا اي يرفعها وقوله ولا زاجر مزدجر اي
ليس في الناس من يزجر عن القبيح وينزجر هو عنه ودار القدس هي الجنة ولا يخدع الله عنها لانه لا يخفى عليه خافية
ولا يجوز عليه النفاق والتمويه ولعن الامر بالمعروف ولا يفعله والناهي عن المنكر ويرتكبه وهذا من قوله تعالى
اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم ولست ارى في هذه الخطبة ذكرا للموازين والمكاييل التي اشار اليها
الرضي رحمه الله اللهم الا ان يكون قوله واين المتورعون في مكاسبهم او قوله ظهر الفساد ولا دلالة فيهما على المكاييل
والموازين بعينه واعلم ان هذه الخطبة قد اشتملت على كلام فصيح وموعظة بالغة من ذكر الدنيا وذكر اهلها ونحن

يقضي نم

Copyright ... University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1